# الكلمات الطيبات

في

# المأثور عن الاسراء والمعراج من الروايات

وفيما وقع ليلتئذ من الآيات الباهرات

تاليف:

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر

﴿ الشيخ محمد بخيت المطيعي ﴾

مفتي الديار المصرية سابقا

القاهرة

١٣٤٧ هـ

المطبعة السلفية - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار نبيه محمداً واصطفاه وأرسله لكافة الناس بشيراً ونذيراه، واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السموات العلى فكان فيها كما هو في الارض سراجاً منيرا ، والصلاة والسلام على هذا النبي المعظم والسند القوي الاعظم ، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه

( أما بعد ). فاني قد اعتدت أن أقرأ كل عام قصة الاسراء والمعراج للنبي السراج الوهاج ، فأردت أن أكتب ما رواه الحفاظ في صحاحهم مقتصراً على ذلك وعلى ما جاء في كتاب الله تعالى شارحاً ما جاء في كتاب الله وفي تلك الروايات معرضا عما عداهاىما رواه غيرهم . فقلت والله التوفيق : ان الكلام في مقامين : الاول في الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . الثاني العروج به ﷺ من المسجد الأقصى الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه العليم العلام . أما الاول فقد جاء فيه قوله تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير ) فقوله تعالى « سبحان » معناه على ما ذهب اليه بعض المحققين مصدر سبح يسبح تسبيحا بمعنى نزه تنزيها لا بمعنى قال سبحان الله و ان جاء التسبيح بمعنى ذلك القول . والاسراء السير بالليل خاصة والهمزة للتعدية والمفعول محذوف على معنى اسرى ملائكته بعبده وانما احتيج الى هذا لانه اذا كان اسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول . وهذا شيء ذهب اليه المبرد ، فاذا قلت قمت بزيد يلزم منه قيامك وقيام زيد عنده ، واذا جعلت الباء كالهمزة لايلزم ذلك كما لايخفى كذا في البحر . ولا يخفى أنه لامانع من جعله بمعنى سرى والباء للتعدية ، وحديث مشاركة الفاعل للمفعول هنا لا يضر لان المشاركة

معنوية بمعنى المصاحبة المعنوية أي انه تعالى صاحبه معه في الاسراء (وهو معكم اينما كنتم) غاية الامر أن المشاركة هنا بمعنى يليق به تعالى. ومصاحبة الله تعالى اما باعانته بدون واسطة أو بواسطة ملائكته فالمعنيان متحدان سواء جعلنا الباء للتعدية وأسرى بمعنى سرى، أو جعلنا الهمزة للتعدية والمفعول محذوف. وايثار لفظة العبد للايذان بتمحضه ﷺ في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك أقصى الغايات ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه. والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الاوصاف وأعلى المراتب وبها يفتخر المحبوب. وعن أبي القاسم سليمان الانصاري انه قال: لما وصل النبي ﷺ الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله اليه يامحمد بم نشرفك؟ قال: بنسبتي اليك بالعبودية. فأنزل الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) وجاء: قولوا عبد الله ورسوله. وقوله تعالى (ليلا) ظرف لاسرى وفائدة ذكره مع أن الاسراء لايكون الا ليلا الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء وانها بعض من اجزاء الليل. وتحقيق ذلك على ما صرح به الفاضل اليمني نقلا عن سيبويه وابن مالك ان الليل والنهار اذا عرفا كانا معياراً للتعميم وظرفا محدودا، فلا تقول صحبته الليلة وأنت تريد ساعة منها الا أن تقصد المبالغة، كما تقول أتاني أهل الدنيا لناس منهم، بخلاف المنكر فانه لايفيد ذلك فلما جيء بالمنكر وعدل عن تعريفه هنا علم انه لم يقصد استغراق السرى له، وهذا هو المراد من البعضية. وقوله تعالى (من المسجد الحرام) المراد منه البيت الحرام أي الكعبة اذ لم يكن غيره حينذاك كما يعلم من التاريخ الصحيح. وقوله تعالى (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس وصفه بالاقصى أي الأبعد بالنسبة الى من بالحجاز فهو أبعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام. وأخرج الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول

ﷺ « بينا أنا في الحجر - وفي رواية الحطيم - بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه » الحديث . وفي بعض الروايات انه جاءه جبريل وميكائيل عليه السلام وهو مضطجع بالحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام وجاءوا به الى زمزم فألقوه على ظهره وشق جبريل صدره من ثغرة صدره الى أسفل بطنه بغير آلة ولا سيلان دم ولا وجود ألم ، ثم قال ميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم فأتاه به فاستخرج قلبه الشريف وغسله ثلاث مرات ثم أعاده الى مكانه وملأه ايماناً وحكمة وختم عليه ثم خرج به الى باب المسجد ، فاذا بالبراق مسرجا ملجماً فركبه . الخبر . وروى انه كان اذ ذاك في دار فاختة أم هاني. فقد أخرج النسائي عن ابن عباس وأبو يعلى في مسنده والطبراني في كبيره من حديثها أنه ﷺ كان نائماً في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها ، وقال : مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد وأخبر به قريشاً فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً . وارتد الناس ممن آمن به عليه الصلاة والسلام وسعى رجال الى أبي بكر فقال : « ان كان قال ذلك لقد صدق » ، فقالوا : تصدقه على ذلك ، قال : اني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة فسمى الصديق وكان في القوم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه إياه فجلا له فطفق ينظر اليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فيه . فقالوا أخبرنا عن عيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئاً ، قال نعم : مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان فاسألوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية . قال : ومررت بعير بنى فلانٍ وفلانٌ وفلانٌ راكبان قعودا

فنفر بعيرهما مني فانكسر فاسألوهما عن ذلك ، قالوا هذه آية أخرى . ثم سألوه عن العدة والاحمال والهيئات فمثلت له العير فأخبرهم عن كل ذلك وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، قالوا وهذه آية أخرى . فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه إذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر وهذه العير قد أقبلت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين . قاتلهم الله أنى يؤفكون

وقد طعن القاضي عبد الجبار فيما ذكر من الشق ونحوه بما حاصله انه يلزم على وقوعه في الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النبوة وهو لايجوز ، ووقوعه بعد النبوة وان لم يلزم عليه ما ذكر الا أن ما ذكر معه من حديث الغسل وادخال الرأفة والرحمة والحكمة يرد عليه أن الغسل مما لا أثر له في التكميل الروحاني وانما هو لازالة أمر جسماني وانه لايصح ادخال ما ذكر وحشوه فانما هو شيء يخلقه الله تعالى في القلب ، وليس بشيء فان تقدم الخارق على النبوة جائز عندنا ونسميه ارهاصا ، والأخبار كثيرة في وقوعه له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة ، والغسل بالماء كان لازالة أمر جسماني ولا يبعد أن تكون ازالته وغسل المحل بماء مخصوص كماء زمزم – على ما صح في بعض الروايات ، ولذا قال البلقيني : انه أفضل من ماء الكوثر – موجبا لتبديل المزاج وهو مما له دخل في التكميل الروحاني ولذا يأمر المشايخ السالكين لديهم بالرياضة التي يحصل بها تبديل المزاج . ويرشد الى ذلك تغيير أحوال النفس وأخلاقها صبا وكهولة وشيخوخة . والمراد من ادخال الرأفة وحشو الايمان مثلا ادخال مابه يحصل كمال ذلك وكثيراً ما يسمى المسبب باسم السبب مجازاً ، ويحتمل أن يكون على حقيقته وتجسم المعاني جائز . وقال العارف ابن أبي جمرة كما في المواهب اللدنية للقسطلاني ما حاصله : ان مادل كلام النبي

ﷺ على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التي ليس للحواس الى ادراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه ﷺ في نفس الامر وان الحكم من المتكلم أو نحوه عليها بالعرضية انما هو باعتبار ما ظهر له بعقله وللعقل حد يقف عنده والحقيقة في الحقيقة ما دل عليه خبر الشارع المؤيد بالوحي الالٰهي والنور القدسي المحلق بجناحيها في جو الحقائق الى حيث لا يسمع لنحلة العقل دندنة ولا للرواة عنه عنعنة . فالايمان والحكمة ونحوهما مما دل عليه كلام النبي ﷺ على جوهريتها محسوسة الامعان وان حسبها من حسبها كذلك اهـ . والامر فيه اعتقاداً وانكارا اليك والا ألزمك الاعتقاد فما أريد أن أشق عليك ، وقال بعض الأجلة لعل ذلك من باب التمثيل إذ تمثيل المعاني قد وقع كثيراً كما مثل له ﷺ الجنة والنار في عرض حائط مسجده الشريف ، وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس وهو ميل الى عدم الوقوع حقيقة . وقد قال غير واحد جميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولايجوز تأويله لصلاحية القدرة له ، ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة فى تأويلهم نصوص سؤال الملكين وعذاب القبر ووزن الاعمال والصراط وغير ذلك بالتشهي . وأما حكمة ذلك مع امكان ايجاد ما ترتب عليه بدونه فقد أطالوا الكلام فى بيانها فى موضعه

وقد اختلف في سنته فذكر النووي في الروضة انه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وفي الفتاوي انه كان سنة خمس أو ست من النبوة . ونقل عنه الفاضل الملا أمين العمري في شرح ذات الشفاء الجزم بأنه كان في الثانية السنة عشرة من المبعث ، وعن ابن حزم دعوى الاجماع على ذلك وضعف ما في الفتاوي بأن خديجة رضي الله عنها لم تصل الخمس وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . ووقع في حديث شريك بن أبى نمر عن أنس انه كان قبل أن يوحى اليه ﷺ وقد خطأه

غير واحد فى ذلك . ونقل الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله ثم قال : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث وأجاب عن ذلك محيي السنة وغيره بما ستسمعه ان شاء الله تعالى . وكذا اختلف فى شهره ولياته فقال النووي فى الفتاوي كان فى شهر ربيع الاول ، وقال فى شرح مسلم تبعاً للقاضي عياض انه فى شهر ربيع الآخر ، وجزم فى الروضة بأنه فى رجب ، وقيل فى شهر رمضان ، وقيل فى شوال ، وكان على ما قيل فى الليلة السابعة والعشرين من الشهر وكانت ليلة السبت كما نقله ابن الملقن عن رواية الواقدي ، وقيل كانت ليلة الجمعة لمكان فضلها وفضل الاسراء ، ورد بأن جبرائيل عليه السلام صلى بالنبي ﷺ أول يوم بعد الاسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر ، قاله محمد بن عمر السفيري وفيه أن العمري ذكر فى شرح ذات الشفاء أن الجمعة والجنازة وجبتا بعد الصلوات الخمس وفي شرح المنهاج للعلامة ابن حجر أن صلاة الجمعة فرضت بمكة ولم تقم بها لفقد العدد أو لأن شعارها الاظهار وكان ﷺ بها مستخفيا ، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة ونقل الدميري عن ابن الاثير انه قال الصحيح عندي انها كانت ليلة الاثنين واختاره ابن المنير . وفي البحر : قيل ان الاسراء كان في سبع عشرة من شهر ربيع الاول والرسول ﷺ ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانيــة وعشرين يوماً ، وحكى انها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عن الجرمى . وقيل ليلة السابع والعشرين من رجب وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى في سيرته . وبالجملة فالأقوال في هذا كثيرة . وهي على ما نقل السفيري عن

الجمهور أفضل الليالي حتى ليلة القدر مطلقا ، وقيل هي أفضل بالنسبة الى النبي ﷺ ، وليلة القدر أفضل بالنسبة الى أمته ﷺ ورد بأن ما كان أفضل بالنسبة اليه ﷺ فهو أفضل بالنسبة الى أمته عليه الصلاة والسلام فهي أفضل مطلقا ، نعم لم يشرع التعبد فيها والتعبد في ليلة القدر مشروع الى يوم القيامة . هكذا اختلفوا ولم يستند واحد منهم الى حديث صحيح يقتضي القطع في شيء مما قالوا فالواجب الامساك عن تعيين وقتها واعتقاد ما جاء به القرآن والاحاديث الصحاح من انه ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وان الملائكة أتوه وهو في الحجر أو في الحطيم ، فتعين انه كان قبل الهجرة كما هو مقتضى ما قدمناه من رواية الشيخين في صحيحيهما وغيرهما في غيرهما

وقد اختلفوا أيضاً في انه كان في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه في المنام وروى ذلك عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ولعله لم يصح عن عائشة كما في البحر، وكانت رضي الله عنها إذ ذاك صغيرة ولم تكن زوجته عليه الصلاة والسلام وكان معاوية كافراً يومئذ . واحتج لذلك بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) لأن الرؤيا تختص بالنوم لغة ووقع في حديث شريك المتقدم ما يؤيده

وذهب الجمهور الى انه في اليقظة ببدنه وروحه ﷺ والرؤيا تكون بمعنى الرؤية في اليقظة كما في قول الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده　　وبشر قلبا كان جما بلابله

وقال الواحدى انها رؤية اليقظة ليلا فقط وخبر شريك لا يعول عليه على ما نقل عن عبد الحق . وقال النووي :وأما ماقع في رواية شريك وهو نائم وفي أخرى عنه بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك اليه وليس في الحديث

ما يدل على كونه ﷺ نائماً في القصة كلها واحتج الجمهور لذلك بأنه لو كان مناماً ما تعجب منه قريش ولا استحالوه لأن النائم قد يرى نفسه في السماء ويذهب من المشرق الى المغرب ولا يستبعده أحد ، وأيضا العبد ظاهر في الروح والبدن

وذهبت طائفة منهم القاضي أبو بكر والبغوى الى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بان الاسراء كان مرتين احداهما في نومه ﷺ قبل النبوة فأسرى بروحه توطئة وتيسيرا لما تضعف عنه قوى البشر واليه الاشارة بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ثم أسرى بروحه وبدنه بعد النبوة. قال في الكشف وهذا هو الحق وبه يحصل الجمع بين الاخبار

وحكى المازري في شرح مسلم قولا رابعا جمع به بين القولين فقال كان الاسراء بجسده ﷺ في اليقظة الى بيت المقدس فكانت رؤية عين ثم أسرى بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام منه الى ما فوقه فكانت رؤيا قلب ولذا شنع الكفار عليه عليه الصلاة والسلام قوله أتيت الى بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا عليه قوله فيما سوى ذلك ولم يتعجبوا منه لان الرؤيا ليست محل التعجب، وليس معنى الاسراء بالروح الذهاب يقظة كالانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية والحكماء فانه وان كان خارقا للعادة ومحلا للتعجب أيضاً إلا انه أمر لا تعرفه العرب ولم يذهب اليه أحد من السلف

لكن قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع ، والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا انه مرارا كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل

مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ، وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الاسراء ، ومسلم أورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله اه وابن القيم بكلامه هذا يشير الى ما قاله الحافظ عبد الحق في حديث شريك والى عدم قبول ما أجاب به النووي وغيره من تعدد الاسراء والمعراج لعدم موافقته لما جاء في القصة من فرض الصلاة وغير ذلك من انكار قريش واستنعاتهم المسجد الأقصى منه ﷺ وسؤالهم له عن غيرهم واخباره بما أخبرهم به وموافقة خبره للواقع فان كل ذلك مما يقطع بأن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة على الوجه الذي ذكره الحفاظ في صحاحهم . فيكون في زمان واحد وفي مكان واحد، وعلى ذلك فاختلاف الروايات في المكان الذي كان فيه النبي ﷺ عند ما جاءه الملكان لا يمنع من الاتحاد لأن الأماكن التي جاءت في الروايات متقاربة لأن بيت أم هانيء هو بيته والاضافة اليه لادنى ملابسة كما أن الملكين أتياه في الحجر محمول على أن ذلك بعد أن حملاه من بيت أم هانيء الى الحجر وكل هذه الاماكن في الحرم ومتقاربة . وكذلك رواية أنه كان معه رجلان عمه وابن عمه لا تعارضها الرواية التي لم تذكر ذلك لان الزيادة ناطقة والرواية الأخرى ساكتة عن الزيادة والساكت لا يعارض الناطق فكان المعول عليه هو ما ذكرناه من أن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة وانه كان مضطجعاً بين عمه وابن عمه في بيت أم هانيء . ولذلك قال الاكثر ان المعراج كالاسراء بالروح والبدن ولا استحالة في ذلك . وما قاله الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على الافلاك ووجود كرات نارية وغير ذلك مما يمنع الوصول الى السماء قد تبين كذبه ، وان

الافلاك ليست أجساماً صلبة وأنه لا استحالة في قبولها الخرق والالتئام ، وان كون هناك كرة نارية لم يثبت بل الذي ثبت خلافه وان الكواكب هي التي تسبح في أفلاكها كما قال تعالى « كل في فلك يسبحون » فنسب السباحة التي هي السير مع الانبساط كسباحة السمك في الماء كما قاله ابن عباس الى الكواكب دون الافلاك ولا استحالة أيضاً من حيث بعد المسافة مع قصر الزمن جداً ولا غرابة فيه ألا ترى أنه قد ثبت بالهندسة أن مساحة قطر جرم الأرض ألفان وخمسمائة وخمسة وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ وان مساحة قطر كرة الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر جرم الأرض وذلك أربعة عشر ألف فرسخ وان طرف قطرها المتأخر يصل موضع طرفه المتقدم في ثلثي دقيقة فتقطع الشمس بحركة الأرض على المعروف الآن أو بحركة الفلك الأعظم على رأي القدماء أربعة عشر ألف فرسخ في ثلثي دقيقة من ساعة مستوية والله تعالى القادر على جميع الممكنات قادر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ وفيما يحمله عليه الصلاة والسلام

والآية وان لم تتعرض لانه ﷺ كان في الاسراء به محمولا على شيء لكن صحت الاخبار بأنه ﷺ أسرى به على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فيلتحق بياناً لما أجملته الآية

وقد ذكر الثعالبي في تفسيره في وصف البراق أنه كان اذا أتى على واد طالت يداه وقصرت رجلاه واذا أتى على عقبة طالت رجلاه وقصرت يداه وكانت المسافة في غاية الطول . ففي حقائق الحقائق كانت المسافة من مكة الى المقام الذي أوحى الله تعالى فيه الى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أوحى قدر ثلاثمائة ألف سنة وقيل خمسين ألفاً وقيل غير ذلك ، وكيف يمكن أن يكون أدنى اشتباه في ذلك فضلا عن الاستحالة وقد كان معه ﷺ جبريل وهو الذي

كان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف ، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرروه في الحكمة الجديدة . وأما يستغرب ويستبعد لو كان ﷺ ماشياً على قدميه أما اذا كان محمولا على البراق وهو من الملائكة ومعه جبريل وهو منهم وقد علمت مقدار مدة هبوطه الى الانبياء ورجوعه الى السماء. والملائكة أنوار الٰهية أقوى من ضياء الشمس فهم أسرع سيراً منه كما لا يخفى

وممن صرح بأن الاسراء والمعراج كان بالجسد والروح خاتم الولاية سيدى محمد بن عربي الحاتمي المشهور بمحيي الدين ، فقال في الباب السادس عشر بعد الثلاثمائة : اعلم أيها الولي الحيم نور الله بصيرتك أن رسول الله ﷺ لما كان خلقه القرآن وتخلق بالاسماء وكان الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز انه تعالى استوى على العرش على طريق التمدح والثناء على نفسه اذ كان العرش أعظم الاجسام فجعل لنبيه عليه الصلاة والسلام من هذا الاستواء نسبة على طريق التمدح والثناء عليه حيث كان أعلى مقام ينتهي اليه من أسرى به من الرسل وذلك يدل على أنه أسرى به ﷺ بجسمه ، ولو كان الاسراء به رؤيا لما كان الاسراء والوصول الى هذا المقام تمدحاً ، ولا وقع من الاعراب في حقه إنكار على ذلك ، لأن الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل الحيوان له قوة الرؤيا فقال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح لانه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه اسرى به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام وهو قوله تعالى ( لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ) والضمير في أنه يعود على محمد ﷺ فانه أسرى به فرأى الآيات وسمع صريف الاقلام فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حظه

السماع وهو الصوت فانه عَبَّرَ عنه بالصريف ، والصريف الصوت . وبعد أن استدل على أن الصريف معناه لغة الصوت قال : فدل على أنه بقى له من الملكوت قوة ما لم يصل اليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع فوصل الى سماع أصوات الاقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الاحكام فهذه الاقلام رتبتها دون رتبة القلم الاعلى ودون اللوح المحفوظ فان الذي كتبه القلم الاعلى لا يتبدل وسمي اللوح المحفوظ من المحو فلا يمحى ما كتب فيه وهذه الاقلام تكتب في ألواح المحو والاثبات وهو قوله تعالى ( يمحو الله ما يشاء ويثبت ) ومن هذه الالواح تنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، فلهذا يدخل فى الشرائع النسخ ويدخل فى الشرع الواحد النسخ فى الحكم وهو عبارة عن انتهاء مدة الحكم لا عن البداء فان ذلك يستحيل على الله تعالى ومن هنا كان يتردد ﷺ فى شأن الصلوات الخمسين لما فرضت عليه بين موسى وبين ربه الى هذا الحد كان منتهاه فيمحو الله عن امة محمد ﷺ ما شاء الله من تلك الصلوات التى كتبها في هذه الالواح الى أن اثبت منها هذه الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى اليه أنه لا يبدل القول لديه فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الامر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده . انتهى المقصود من هذا الباب مما يتعلق بالاسراء .

واما ما يتعلق بالمعراج فبعد أن بين رضى الله عنه في الباب الرابع عشر بعد الثلثمائة ما يتعلق بمعاريج الملائكة وانه لا يعرج من الملائكة الا من نزل وان لهم بنظرهم الى الحق في كل شيء ينزلون اليه فهم على الدوام إذا توجهوا لا يتوجهون الا الى الحق . وللحق صفة العلو على الاطلاق فهم من حيث نظرهم الى ما ينزلون اليه يقال تنزل الملائكة ومن حيث أنهم ينظرون الى الحق سبحانه

وتعالى يقال تعرج الملائكة ، فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزولهم الى الخلق عروج الى الحق قال: ثم إن الله عين للرسل معارج يعرجون عليها وهم أتباع الاتباع فان الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول ولهذا قيل للرسول (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ) فهو مصغ تابع للملك ونحن مع الرسول بهذه المثابة فاذا نزل الملك بالوحي على الرسول وتلقاه منه القاه الرسول على التابع وهو الصاحب فتلقاه منه فاذا عرج الملك عرج بذاته لانه رجوع الى أصله وإذا عرج الرسول ركب البراق فعرج به البراق بذاته وعرج الرسول لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية فكان محمولا في عروجه حمله من عروجه ذاتي فتميز عروج الرسول عن عروج الملك ثم انه لما وصل الى الذي لايتعداه البراق وليس في قوته أن يتعداه تدلى الى الرسول الرفرف فنزل عن البراق واستوى على الرفرف وصعد به الرفرف وفارقه جبريل فسأله الصحبة فقال انه لايطيق ذلك وقال له «ومامنا الا له مقام معلوم» فلوأراد الحق صعوده فوق ذلك المقام لكان محمولا مثل ماحمل الرسول ﷺ ولما وصل المعراج الرفرفي بالرسول ﷺ الى مقامه الذي لايتعداه الرفرف زج به في النور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخذه الحال فصار يتمايل فيه تمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق يميله ولا يطفئه ولم ير معه أحداً يأنس به ولا يركن اليه وقد أعطته المعرفة انه لايصح الانس الا بالمناسب ولا مناسبة بين الله وعبده وإذا أضيفت المؤانسة فانما ذلك الى وجه خاص يرجع الى الكون فأعطته ﷺ هذه المعرفة الوحشة لانفراده بنفسه وهذا مما يدل أن الاسراء كان بجسمه ﷺ لان الارواح لاتتصف بالوحشة والاستيحاش فلما علم الله ذلك منه وكيف لايعلمه وهو الذي خلقه في نفسه وطلب عليه السلام الدنو منه بقوة المقام الذي هو فيه فنودى بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيسا له به اذ كان أنيسه في المعهود فحن لذلك

وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في ذلك الموطن وكيف جاءه من العلو وقد تركه في الارض وقيل له في ذلك النداء يامحمد قف ان ربك يصلي فأخذه بذلك الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة الى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية فعلم ما أراد بنسبة الصلاة الى الله فسكن روحه ﷺ مع كونه سبحانه وتعالى لايشغله شأن عن شأن ولكن قد وصف نفسه بأنه لايفعل أمراً حتى يفرغ من أمر آخر فقال (سنفرغ لكم أيها الثقلان) فمن هذه الحقيقة قيل له ﷺ قف ان ربك يصلي أي لايجمع بين شغلين يريد بذلك العناية بمحمد ﷺ حيث يقيمه في مقام التفرغ له فهو تنبيه على العناية به والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك فان الذي ينال الانسان من المتفرغ اليه أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ اليه لان تلك الامور تجذبه عنه فهذا في حال النبي ﷺ وتشريفه فكأنه معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقربه ويشرفه فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر الى الملك في الامر الذي وجه اليه فيه فقيل له تربص قليلا فان الملك في خلوته يعزل لك خلعة تشريف يخلعها عليك فما كان شغله عنه الا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم) فتشرف بأن قيل له انما غاب عنك من أجلك وفي حقك فلما أدناه تدلى اليه فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد مارأى العين أى تجلى له في صورة علمه به فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام . فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج بخاصية ماعنده وخاصيته ماتنفرد به الرسالة فكان الولى اذا عرج به فيه يكون رسولا وقد أخبر رسول الله ﷺ ان باب الرسالة والنبوة قد أغلق فتبين لك ان هذا المعراج لاسبيل

الولي اليه البتة ألا ترى النبي ﷺ في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته خمسون صلاة فهو معراج تشريع وليس للولي ذلك فلما رجع الى موسى عليه السلام قال له راجع ربك يخفف عن أمتك الحديث الى أن صارت خمسا بالفعل وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفيه طول الى آخر ما أطال به في هذا الباب من بيان معارج الاولياء وان الانبياء والرسل يشاركون الاولياء في معارجهم باعتبار أنهم أولياء لا باعتبار أنهم أنبياء ورسل وأن براق الاولياء أعمالهم ورفرفهم صدقهم فيكون له ذلك معراجا ورفرفا معنويا يناله فيه ماتعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف

واياك أن تظن أن هناك طي مسافة على نحو مايثبته الصوفية وبعض الفقهاء للاولياء كرامة وقد جهّل بعضُ الحنفية مثبتيه لهم وكفرهم آخرون وليس له وجه ظاهر بل ربما يلزم مثبتيه القول بتداخل الجواهر . والفلاسفة والمتكلمون سوى النظام يحيلونه ويبرهنون على استحالته ، وادعى بعضهم الضرورة في ذلك وقالوا المنع مكابرة

وانما أسرى به ﷺ ليلا لمزيد الاحتفال به عليه الصلاة والسلام فان الليل وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك ولا يكاد يدعو الملك لحضرته ليلا إلا من هو خاص عنده وقد أكرم الله تعالى فيه قوما من أنبيائه بأنواع الكرامات وهو كالاصل للنهار ، وأيضا الاهتداء فيه للمقصد أبلغ من الاهتداء في النهار وأيضاً قالوا ان المسافر يقطع في الليل مالايقطع في النهار ومن هنا جاء :عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالاتطوى بالنهار . وأيضا أسرى به ليلا ليكون مايعرج اليه من عالم النور المحض أبعد عن الشبه بما يعرج منه من عالم الظلمة وذلك أبلغ في الاعجاب . وقال ابن الجوزي في ذلك ان النبي ﷺ سراج والسراج لايوقد الا ليلا وبدر وكذا مسير البدر في الظلم الى غير

،ذلك من الحكم التى لا يعلمها الا الله تعالى

ولم تنص الآية على دخوله ﷺ في المسجد الاقصى ، الا أن الاخبار الصحيحة نصت على ذلك

وقوله سبحانه ( الذي باركنا حوله ) صفة مدح للمسجد الاقصى ، وفيها ازالة اشتراك عارض . وبركته بما خصه الله به من كونه متعبد الانبياء عليهم السلام وقبلة لهم وكثرة الانهار والاشجار حوله. وفي الحديث انه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس . وقيل بركته أن جعل الله مياه الارض كلها تنفجر من تحت صخرته . قال الالوسي والله أعلم بصحة ذلك

وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال والاربعة التي يمنع من دخولها الدجال فقد أخرج أحمد في المسند ان الدجال يطوف الارض الأربعة مساجد: مسجد المدينة ومسجد مكة والاقصى والطور . والصلاة فيه مضاعفة ،فقد أخرج أحمد أيضا وأبو داود وابن ماجه عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ انها قالت: يانبي الله أفتنا في بيت المقدس ، قال أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة ،وفي رواية لاحمد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام انها قالت يارسول الله فان لم تستطع احدانا أن تأتيه قال اذا لم تستطع احدا كن أن تأتيه فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه ، وروى بعضه أبو داود

وهو ثاني مسجد وضع في الارض لخبر أبي ذر: قلت يارسول الله أى مسجد وضع في الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه

وقد أسسه يعقوب بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة بما ذكر في الحديث وجدده سليمان أو أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير . والكلام فيما

يتعلق بذلك مفصل في محله . وقوله تعالى ( لنريه من آياتنا ) أي لنرفعه الى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة: فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قد عرج به من صخرة بيت المقدس واجتمع في كل سماء مع نبي من الانبياء عليهم السلام كما في صحيح البخاري وغيره واطلع عليه الصلاة والسلام على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ( انه هو السميع البصير ) يجوز أن يكون الضمير له تعالى كما هو الاظهر وعليه الاكثر فيطابق قوله تعالى ( بعبده ) ويؤيد ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه وينطبق عليه التعليل أتم انطباق . فان المعنى قرّبه وخصه بهذه الكرامة لانه سبحانه مطلع على أحواله وعالم باستحقاقه لهذا المقام أو أنه تعالى هو السميع لأقوال ذلك العبد البصير بأفعاله وبكونها مهذبة خالصة عن شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء مستأهلة للقرب والزلفى. ويجوز أن يكون الضمير له ﷺ ويكون المعنى ان هذا العبد هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا أو أن العبد الذي شرفته بهذا التشريف هو المستأهل له فانه السميع لاوامري ونواهيّ العامل بهما البصير الذي ينظر بنظرة العبرة في مخلوقاتي فيعتبر أو البصير بالآيات التى أريناه إياها كقوله تعالى ( ما زاغ البصر وما طغى ) وأيد هذا بمطابقة الضمائر العائدة عليه ﷺ وكذا لما عبر به عنه من قوله سبحانه عبده ولعل السر في مجيء الضمير محتملا للأمرين ـ كما قال الطيبي الاشارة الى أنه ﷺ انما رأى رب العزة وسمع كلامه به سبحانه كما في الحديث القدسي ( بي يسمع وبي يبصر ) وانما أتى بضمير الفصل اما لان سماعه تعالى بلا اذن وبصره بلا عين على نحو لايشاركه فيه تعالى أحد ، واما للاشعار باختصاصه ﷺ بتلك الكرامة

(وهذا هو المقام الثاني) وهو عروجه الى السماء وهو ثابت بالقرآن وبالاحاديث الصحيحة . أما القرآن فقد قال تعالى ( والنجم اذا هوى ) أي

أقسم بالنجم اذا غرب وقيل اذا طلع ( ما ضل صاحبكم وما غوى ) أي ما عدل عن طريق الحق وما اعتاد باطلا قط فنفى عنه الضلال لبيان انه على الصواب في أقواله وأفعاله ونفى عنه الغي الذي هو الجهل مع اعتقاد فاسد وان كان داخلا فيما قبله للاعتناء بالاعتقاد وللاشارة الى انه هو الذي عليه المدار في النجاة وصحة الاعمال،والخطاب لقريش. وأورده تعالى بعنوان الصاحب لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبراً ببراءته ﷺ مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى واتباع الحق والسداد والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما ففي ذلك تأكيد لاقامة الحجة عليهم، وانما أقسم هنا بالنجم اذا غرب أو طلع للاشارة الى أن محمداً ﷺ هو النجم الذي يهتدى به فكيف يمكن أن يكون ضالا وغاويا ( وما ينطق عن الهوى ) أي النبي ﷺ ما يصدر نطقه فيما أتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلا ( ان هو الا وحي يوحى ) أي ما الذي ينطق به الا وحي من الله عز وجل يوحيه الله سبحانه اليه ( علمه شديد القوى ذو مرة ) أي علم صاحبكم وهو محمد ﷺ جبريل الذي هو شديد القوى كما قاله ابن عباس وقتادة والربيع . فان جبريل عليه السلام هو الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين. وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ماقرروه في الحكمة الجديدة ، والذي هو ذو مرة أي حصافة واستحكام في العقل ففي الاول وصفه بالقوة في الفعل وفي هذا وصفه بقوة النظر والعقل وهو كناية عن ظهور الآثار البديعة . ( فاستوى ) أي فاستقام جبريل

على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها وذلك عند غار حراء في مبدإ النبوة وكان له عليه السلام ـ كما في حديث الامام أحمد وعبد بن حميد وجماعة عن ابن مسعود ـ ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق فالاستواء ههنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قاله الراغب وهو المراد بالاستقامة أيضا ، وليس المراد منه ضد الاعوجاج ومن ذلك استوى الثمر بمعنى نضج ، يعني استوى جبريل مع محمد عليهما السلام ليلة المعراج ( وهو بالافق الاعلى ) أي وجبريل بالافق الاعلى وهو الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر وأصل معنى الافق الناحية . وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحي لهم

واختلف في الضمير فقيل عائد الى النبي ﷺ والضمير في استوى عائد الى جبريل عليه السلام وجوز العكس ولا يخفى مافي ذلك من تشتيت الضمائر فالاقرب أن كل الضمائر عائدة الى جبريل عليه السلام ( ثم دنا فتدلى ) أي قرب جبريل من النبي ﷺ فتعلق جبريل في الهواء ، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير ، والدوالي الثمر المعلق كعناقيد العنب ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) أي فكان جبريل عليه السلام قريباً منه ﷺ مقدار قوسين ، وفيه اشارة الى ما كانت العرب تفعله في الجاهلية اذا تحالفوا فانهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون احداهما بالاخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأن القوسين ذاتا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا فيكون ذلك اشارة الى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه . ولا يخفى حسن موقع هذا الكلام في هذا الموضع ودلالته على شدة الاتصال بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام ( فأوحي الى عبده ما أوحى ) أي فأوحى جبريل الى عبدالله الذي أوحاه اليه، وأبهم الوحي للتفخيم ، ويجوز عود الضمير في قوله ما أوحى الى الله تعالى، أي أوحى جبريل الى عبدالله ما أوحاه الله الى جبريل، والاول مروى